

## الإيمان ودَعْمُ الصَّحَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْحَالِ النَّفْسَانِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ عِنْدَ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ الْمُهَجَّرَاتِ

كاثِلين زُئليج وسندرا إيمان بَرْتِك ومحمد أبوهِلال وعطا اللهُ فِتْسَغِيُون

لِمَا كَانَ لِلدِّينِ مِنْ هُوِيَّةٍ وَسُنَنِ وَمَعْتَقِدَاتٍ تَأْتِيْرٌ عَمِيقٌ فِي الصَّحَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، كَانَتْ مِرَاعَاةُ الْإِيمَانِ فِي الْمَعُونَةِ وَدَعْمِ الصَّحَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْحَالِ النَّفْسَانِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ضَرُورَةً.

تَمَسَّكَ فِي أَثْنَاءِ تَنْقُلِهِنَّ بِالْدِينِ وَالْإِيمَانِ وَالرُّوحَانِيَّةِ الْمُنْتَقَلَةِ مَعَهُنَّ. وَقَدْ أَثَّرَ الصُّمُودُ الْإِيمَانِيُّ وَالْمَعَانَاةُ الرَّوْحِيَّةُ -الَّذَانِ يَكْثُرُ أَنْ يَصِيبَ فِهْمَهُمَا عَلَى الْغُرَبَاءِ- فِي حُسْنِ حَالِ النِّسَاءِ بِطَرُقٍ مُتَنَوِّعَةٍ. فَطَوَالَ تَجَارِبُهُمْ كَانَ لِلهُوِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَالسُّنَنِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَعْتَقِدَاتِ الدِّينِيَّةِ تَأْتِيْرٌ عَمِيقٌ فِي صَحَّتِهِنَّ الْعَقْلِيَّةِ، سِوَاءِ فِي تَخْفِيفِ الضَّائِقَةِ النَّفْسَانِيَّةِ أَوْ فِي الْمُسَاهَمَةِ فِيهَا.

### يَنْتَقِلْنَ وَيَنْتَقِلُ إِيْمَانُهُنَّ مَعَهُنَّ

تَشِيرُ نَتَائِجُ الدِّرَاسَةِ إِلَى أَنَّ النِّسَاءَ اعْتَمَدْنَ عَلَى طَائِفَةٍ وَاسِعَةٍ مِنَ الرُّوَايَاتِ الدِّينِيَّةِ لِإِيْجَادِ مَعْنَى لِمَعَانَاتِهِنَّ وَتَوْجِيهِ اتِّخَاذِهِنَّ الْقَرَارَاتِ الْحَاسِمَةِ، وَمِنْهَا قَرَارَاتُ الطَّلَاقِ وَالِانْتِحَارِ. فَاسْتَعْمَلْنَ جَمَلَةً مُتَنَوِّعَةً مِنَ السُّنَنِ الدِّينِيَّةِ آيَاتٍ أَوْلِيَّةٍ لِلتَّكْيِيفِ، وَرَأَيْنَ قِيْمَةً لِلتَّوْجِيهِ الصَّادِرِ مِنَ الْقَادَةِ الدِّينِيَّةِ وَلِبُلُوغِ الْمَوَاضِعِ وَالْمَوَارِدِ الدِّينِيَّةِ. وَوَصَفَتِ النِّسَاءَ مَا يَتَّبَعْنَ مِنْ سُنَنِ دِينِيَّةٍ أَنَّهُا تُرِيحُهُنَّ،

«الصَّلَاةُ سَبَبُ النِّجَاةِ»، وَ«الْحَاجَاتُ الدِّينِيَّةُ رَأْسُ حَاجَاتِي»، وَ«يَا لَيْتَنِي سَأَلْتُ». هَذِهِ عِبَارَاتٌ قَالَتْهَا النِّسَاءُ الْمُهَجَّرَاتُ فِي الْعِرَاقِ وَسُورِيَّةِ وَتُونِسَ وَتُرْكِيَا فِي ثَلَاثِ دِرَاسَاتٍ مُسْتَقَلَّةٍ وَمُنَسَّقَةٍ فِيهَا سَنَةٌ ٢٠١٩، أَجْرَتْهَا جَامِعَةُ بَرْمِنْغَامِ وَجَامِعَةُ الْمَلِكَةِ مَارْغَرِيْتِ وَمُنْظَمَةُ مُسْتَقْبَلِ سُورِيَّةِ الرَّاهِرِ، مِعَاوَنَةٌ مُنْظَمَةُ الْإِغَاثَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عِبْرَ الْعَالَمِ وَالْأَكَادِمِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِلتَّنْمِيَةِ. وَبَحِثُ الدِّرَاسَاتِ شَأْنَ الْإِيمَانِ فِي تَصَدِّي النِّسَاءِ لَصُعُوبَةِ مَعِيْشَتِهِنَّ وَفِي مَعَاْفَاتِهِنَّ فِي سِيَاقِ الْهِجْرَةِ الْقُرْسِيَّةِ وَسِيَاقِ التَّرَاعُفِ<sup>١</sup>

عَانَتِ النِّسَاءُ الدَاخِلَاتِ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ، مِثْلَ كَثِيْرَاتٍ غَيْرِهِنَّ مِنْ الْمُهَجَّرَاتِ، مِصَاعِبَ يَصِيبُ وَصْفَهَا، فَفَقَدْنَ أَقَارِبَ وَأَمْلَاكًا، وَعِشْنَ فِي الْحَرْبِ وَالْعَنْفِ (وَمِنْهُ الْعَنْفُ الْجِنْسِيُّ وَالْعَنْفُ الْجِنْسَانِيُّ)، وَخُضْنَ فِي رِحْلَاتٍ تُهْدِدُ حَيَاتِهِنَّ، وَانْفَصَلْنَ مِنْ أَسْرِهِنَّ، وَذُقْنَ الْعِجْزَ. وَإِذْ قَدْ كُنَّ يَوْمًا مُنْتَمِيَاتٍ إِلَى مِجْتَمَعٍ مَحَلِيٍّ دِينِيٍّ، فَقَدْ



وأنها وسيلة للحماية من الخطر، ووسيلة لتقليل القلق، ووسيلة للهدي في اتخاذ القرار. قالت جنان، وهي امرأة تبلغ من عمرها ٥١ سنة تعيش في مخيم للاجئين الداخليين في العراق: «إنما الأمر كصَبِّ الماء على النار»، مشيرة إلى صلاتها وقرآنها القرآن. ويشابه ذلك ما ألفتته المعتقدات الدينية من إطار أساسي فسر من خلاله أكثر النساء في الدراسات الثلاث الحياة وسعيهن إلى إدراك تجاربهن. وأعان شعورهن بالموءدة الروحية المستمرة لله على المثابرة في مكابدهن المستمرة.

ومع ذلك، عانت النساء في المخيمات والملاجئ من المعوقات الإمدادية (اللوجستية) في أدائهن الشعائر الدينية، ومن ذلك انتفاء الخصوصية، وانتفاء أماكن الصلاة في مواضع إقامتهم المزدحمة. ففي بلدان العبور واللجوء، شعر بعضهن بالتعب الشديد أو الانشغال بالمجهودات اليومية فشغلن عن أداء العبادة إفرادياً، وافتقرن إلى فرص أداء الشعائر الجماعية. وقد كنَّ فقدن اللوازم الدينية أو اضطررن إلى تركها، مثل النصوص القدسية وسبحة الدعاء وسجادة الصلاة. وفقد بعضهن هواتف محمولة خزت فيها تطبيقات دينية، أو لم يستطعن شحن هواتفهم حتى يصلن إلى التطبيقات الدينية.

ولم يأخذ الدعم الذي كان متاحاً للنساء من المعونة ومقدمي خدمات دَعْمِ الصَّحَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْحَالِ النَّفْسَانِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لم يأخذ إلى حد بعيد في الحسبان تأثير الإيمان في الضائقة النفسانية ولا أهمية تسهيل الوصول إلى الموارد الدينية للتكيف، وبدلاً من ذلك ظنَّ أن القادة الدينيين المحليين سيحتلمون مسؤولية مثل هذه الحاجات. وكان الاستدلال على ذلك مرتبطاً في كثير من الأحيان بمخاوف الحياء وعدم التحيز. لكن في كثير من هذه السياقات -مثل مدن العبور ومراكز الحجز والمخيمات ومواقع إعادة التوطين- كان وصول النساء إلى هؤلاء الأشخاص أو الموارد قليل، أو أنهم أغفلن أو استبعدن من الدعم بسبب جنسهن. ثم إن الذين لهم تفويض إنساني والذين كان يمكن أن يتوسطوا في تحقيق تكافؤ الوصول لم يسألوا النساء في الدراسة عن حاجتهن الدينية وتجنّبوا مناقشة شؤون الإيمان في التقديرات وخطط الاستجابة. فكان من ذلك أن افتقر كثير من النساء في هذه الدراسة إلى الدعم الخارجي لإستراتيجيتهن في التصدي لصعوبة معيشتهن.

وألمح بعضهن إلى أن أدائهن سنهن الدينية قد قلَّ لمكابدتهن في التوفيق بين تجاربهن وإيمانهن بالله. فعند بعضهن كان انخفاض إيمانهن مؤقتة فقط، ولكن عند اللواتي لم يتمكن من حل الخلاف بين تجاربهم وإيمانهم، أو من استعادة استقرار أدائهن الديني السابق، كان انخفاض إيمانهم مرتبطاً بأعراض القلق والاكتئاب. فكان بهن حاجة إلى الطمأننة من المعارف المُقدَّسة -التي شعرن أنها بعيدة عن متناولهن- لتعنيهن على معالجة المعتقدات الداخلية المرتبطة بما ذقته من إساءة، والمربطة بلوم النفس أيضاً.

## دَعْمُ مَرَقَل

عبّرت بعض النساء في الدراسة عن رغبتهن في التحدّث عن المكابدة الروحية في وَسَطٍ إرشادي رسمي، لكنهن شعرن أنهن لا ينبغي لهنّ الحديث عن المسائل الإيمانية. إذ قالت إحدى المُستطلعات في العراق: «هذا بيّن، لأنهم حين يحدّثونا لا يذكرون عن الدين شيئاً». ومثل ذلك أن قالت إحدى المشاركات في الدراسة من سورية إنها تحب لو استعملت «أقوال وأمثلة دينية ... في العلاج، لأن شخصيتي تميل إلى الإيمان والدين».

## دَعْمُ الصَّحَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْحَالِ النَّفْسَانِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْمُرَاعِي لِلإِيمَانِ مَعَ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ

صحيح أن تهميش المخاوف الدينية للمهجرات يمكن أن يضر، ولكن صحيح أيضاً أن المبالغة في إبراز أهمية الإيمان عند فئة من السكّان أو في إنشاء الفروض حول الحاجات الدينية على أساس دين الأغلبية -يمكن أن تضر. وينبغي أن تكون المعونة مستجيبة لمن يرغب ولا يرغب في الدخول بوجه من الوجوه في الإيمان. وهكذا تبدأ مراعاة الإيمان في المعونة ودَعْمِ الصَّحَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْحَالِ النَّفْسَانِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بسؤال المهجرات: ما أسباب مشكلاتهنّ في رأيهنّ، وما حلولها؟ وهل يُردن أن يكون

هذا، ويميل مقدّمو الخدمات والدوليون والمحليون إلى تجنب الدخول في شؤون الدين، ولم يدخلوا فيها إلا حين طلبت النساء ذلك صراحة. ومع ذلك، فإن مواقف الموظفين والسياسات

وينبغي مراعاة شأن التجارب السيئة المتعلقة بالهوية الدينية عند تقدير ما للضائقة من أسباب أصلية، وبخاصة عند المعرّضات لفظائع الحرب والاضطهاد الديني، والتمييز الديني والعزفي. فتوسيع فهم الوظائف الإيجابية والسلبية للمعتقدات المحلية في الذنب والعقاب الإلهي، وتأثيرها في درجات الكرب وآليات التصدي لصعوبة المعيشة، يمكن أن يعين المراعين على إعداد استجابات فعّالة في الرعاية.

ويمكن أن تكون فرق دعم الحال النفسانية الاجتماعية بين النظراء التي تُعدّها النساء وتقودها معزّراً قوياً لحسن الحال، ولا سيما إن أدمجت في المشاريع التعليمية والمولدة للدخل. وأيضاً فقد تشتمل هذه المبادرات على أعمال التصدي الديني لصعوبة المعيشة، مثل دعم الأقران لإعادة أداء الشعائر وإعادة إنشاء أمكنة للمناقشة في شؤون الإيمان ومخاوف أخرى.

كاثلين رُتلج [KRutledge@qmu.ac.uk](mailto:KRutledge@qmu.ac.uk)

مديرة شؤون الاستجابة للمعونة الإنسانية، وباحثة نائلة درجة الدكتوراه، في جامعة الملكة مارغريت

سندرا إيمان بركت [S.M.Pertek@pgr.bham.ac.uk](mailto:S.M.Pertek@pgr.bham.ac.uk)

مستشارة في شؤون الجنسانية، وباحثة نائلة درجة الدكتوراه، في جامعة برمنغهام

محمد أبوهازل [Mahilal3@gmail.com](mailto:Mahilal3@gmail.com)

طبيب نفسي سوري، ومؤسس منظمة مستقبل سورية الزاهر

عطا الله فتسخيوني

[Atallah.Fitzgibbon@irworldwide.org](mailto:Atallah.Fitzgibbon@irworldwide.org)

نصيح في إقامة المشاركات للشؤون الإيمانية، في منظمة الإغاثة الإسلامية عبر العالم

١. اشتملت على ٢٤٦ امرأة، أكثرهن مسلمات (٩٦%)، والبقية مسيحيات. تقع سنهن بين ١٨ سنة و٦٤ سنة. واشتملت الدراسة أيضاً على ٢٢ مقابلة قوبل فيها مزاولون في ميدان المعونة الإنسانية ودعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية.

٢. IASC Guidelines on Mental Health and Psychosocial Support in Emergency Settings (2007)

(المبادئ التوجيهية في اللجنة الدائمة المشتركة بين الهيئات في شأن دعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية في الطوارئ)  
[bit.ly/IASC-MHPSS-guidelines](http://bit.ly/IASC-MHPSS-guidelines)

اقرأ باللغة العربية: [bit.ly/IASC-MHPSS-guidelines-ar](http://bit.ly/IASC-MHPSS-guidelines-ar)

(Islamic Relief Worldwide and Lutheran World Federation (2018. ٣

*A faith-sensitive approach in humanitarian response: Guidance on mental health and psychosocial programming.*

(طريقة مقارنة تراعي الإيمان في الاستجابة الإنسانية: الإرشاد في برامج دعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية)

[bit.ly/IRW-LWF-faith-sensitive-MHPSS-2018](http://bit.ly/IRW-LWF-faith-sensitive-MHPSS-2018)

للغة الدينية والفاعلين الدينيين والسُنن الروحية شأن، إن وُجِدَتْ، في حل مشكلاتهن؟

على أن أُسَسَ مراعاة الإيمان في دعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية راسخة في المبادئ والتوجهات المنصوص عليها في المبادئ التوجيهية للجنة الدائمة المشتركة بين الهيئات في شأن دعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية في الطوارئ<sup>٢</sup>. ففيها إرشاد إلى إشراك الداعمين الدينيين وإجراء التقديرات التي تأخذ في الاعتبار القضايا والفاعلين الدينيين، وتُبرر أهمية البناء على الموارد والقدرات المتاحة، وعلى الإسهام، وعلى أنظمة الدعم المتكاملة وحقوق الإنسان. ثم أنشُرَ مزيد الإرشادات العملية سنة ٢٠١٨ في مراعاة الإيمان في دعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية<sup>٣</sup>. وبعد أن استفدنا من هذه الدراسة من هذه الإرشادات والمعطيات، نقدّم بين يديها عدداً من التوصيات بمعاملة النساء المُسلّمات خصيصاً.

ينبغي للفاعلين في دعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية وفي ميادين المعونة الأخرى أن يتحمّلوا مسؤولية التقدير والتفسير والرصد في مساواة الوصول إلى الموارد والمواضع الدينية للنساء والرجال، وأن يعملوا من قُرب مع الزعماء الدينيين الرسميين وغير الرسميين، وأن يُقرّوا بأن الوصول إلى الموارد الدينية يقوم على أساس الجنس. ومن المهم تحديد الزعيمات الدينيات غير الرسميات في السياق المحلي اللاتي يلجأن إليهن النساء الأخرى يطلبن الدعم الروحي والعاطفي. وإشراك هؤلاء النساء في التصميم والتنفيذ لبرامج دعم الحال النفسانية الاجتماعية، ومنها التدريب على الإسعاف الأولي النفسي.

هذا، وينبغي تبصّر موظفي دعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية بوجود وملاءمة التعاليم الدينية الرئيسة والأمثال المحلية التي يستعملها للتكليف الأفراد والمجتمعات المحلية. ويضاف إلى ذلك، أنه يمكن أن يكون التعريف بالأنبياء والنساء اللاتي يحتذى عليهنّ في الروايات الدينية مصدراً للسلوان، فهم أيضاً عانوا التهجير والاضطهاد والفقْدان. فلقد يؤدي توسيع مدارك الموظفين بما تقدّم ذكره من أساليب التصدي لصعوبة المعيشة إلى تعزيز فاعلية البرامج.

وينبغي في أدوات الصحة العقلية أن يُنظر إلى ما يُستعمل في الضائقة من تعابير اصطلاحية محلية، يكثر أن تُبث اللّغة الدينية في أوصاف ما يُعرض في وجوه اضطراب الصحة العقلية؛ مثال ذلك أن أهل العراق يقولون «الروح (تعبانة)» ويقصدون بها الاكتئاب.